— وجه مجددا الدكتور عمانوئيل جاكوبوفيتش ، كبير الحاخامين اليهود في بريطانيا ، انتقادا شديدا الى ما وصفه بالاسس الوهمية لدولة اسرائيل . وقال : ان حرب يوم الغفران أبرزت انهيار الوضع العقلي والفلسفة الخاصة باسرائيل انهيارا لا يقل عن انهيار الاستراتيجية العسكرية والسياسية الخارجية الاسرائيلية . وأكد الحاخام جاكوبوفيتش ان « منشأ الازمة الروحية لاسرائيل يعود الى الاسس الواهية التي بنى عليها الصهيونيون الاوائل أحلامهم ، وقد اعتقدوا هم وخلفاؤهم ان الاستقلال القومي اليهودي في صهيون من شأنه ان يحل المشكلة اليهودية » . واضاف الحاخام اليهودي : « ولكن سرعان ما تبين ان ذلك حلم تافه حتى في دولة اسرائيل . اذ أن اليهود ما زالوا هناك مختلفين وغريبين ومنعزلين ، كما كانوا دائما من قبل . وبدلا من ان تحل الدولة المشكلة اليهودية أبرزتها الى حيز العيان »(٧).

ان هذا الراي اليهودي الديني لا يحتاج الى توضيح في التقاء دلالاته مع الدلالات التي أفصح عنها ماركس وهوكنغ وتوينبي . وفيما يلي رأي (اسرائيلي) صميمي يكاد يكون أفصح وأقوى تعبير من كل ما قيل في هذا الشأن حتى الآن ، ربما لانه ينبثق من حرارة الاكتشاف بعد التجربة التشرينية . يقول الكاتب بوعاز عبرون في (يديعوت أحرونوت)، ١٩٧٤/٢/٨ : « انني أشك في أن الصهيونية سوف تحل مشكلة اليهود ، وأنها سوف تمنحهم ملجأ آمنا . فاسرائيل اليوم هي احدى المناطق الاقل أمنا بالنسبة لليهود ، وانبياء الاحلام على كل أنواعهم يعدوننا أن اسرائيل سوف تظل مكانا غير آمن على امتداد أجيال أخرى ، بدون أن يعطينا واحد من هؤلاء الانبياء تعهدا أنه في النهاية سوف « ينتهي كل شيء على أفضل وجه » . والمعتقد أنه ، من حيث الامن المادي المجرد ، أفضل لليهودي أن يبقى في (بروتكس) و(جيرالدز غرين) من أن يهاجر الى هنا . وهذا هو ما يحدث فعلا . لذلك فان أولئك الذين يريدون « صهيونية كبرى » هم أيضا يجب ان يكونوا راغبين بالسلام . والا فانه فقط اليهود الذين لا يوجد أمامهم مكان آخر ، فقط اليهود المثاليين المتعصبين سوف يهاجرون الى البلاد التي تعيش ظروف الحرب الدائمة »(٨).

اذا فقد امتد خط الارتياب في صحة الحل الصهيوني لمشكلة اليهود من منتصف القرن التاسع عشر حتى هذا اليوم ومن وسط أوربا حتى وسط اسرائيل ، وزادته تجربة تشرين حدة ووضوحا . والسؤال المطروح اليوم بقوة : هل حلت (المسألة اليهودية) أو على الاقل هل نستطيع القول انها في طريق الحل ؟ طبعا لا ، ذلك ان غالبية يهود اوربا وأمريكا ما زالوا يقيمون في مجتمعاتهم الاصلية ، وان مغامرات اسرائيل العسكرية والدولية تزيدهم بالتدريج غربة عن مجتمعاتهم وتعقد مسألتهم وتضعهم بين فكي كماشة الولاء المزدوج ، وكثيرا ما تضطرهم الى الاختيار بين التصرف بوحي من مصلحة اوطانهم وبين التصرف بتأثير من مصلحة اسرائيل ، وهو اختيار يومي لا بد من أن يتعرض له كل يهودي .

أما أولئك اليهود الذين هاجروا الى اسرائيل ، فقد انتقلوا ببساطة من (الغيتو) الصغير الى (غيتو) أكبر ، والخطر الذي ينتظرهم — بسبب غطرسة السياسة الاسرائيلية ومغامراتها العدوانية — اقسى من اي خطر سبق ان تعرض له اليهود في مجتمعاتهم الاصلية .

وصحيح ان المسألة لم تنته بعد — كما يمكن ان يجيب الصهيونيون على مثل هذا التساؤل — ولكن من الواضح ان جميع المؤشرات تدل على أن القسم الاكبر من يهود العالم قانعون بالبقاء في مجتمعاتهم، اما القسم الذي اقام الدولة الصهيونية على اساس القومية اليهودية المزعومة فانه خلق لنفسه مشكلة جديدة، تختلف نوعيا عن الاوضاع التي حاول ان يعالجها باقامة الدولة ، وتحمل له اخطارا مختلفة ايضا ، على نحو ما